

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أحمد زبانة غليزان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: السنة الثالثة ليسانس نقد ودراسات أدبية.

مقياس: نقد النثر القديم.

السادسي الخامس.

الأستاذة: خلوف نعيمة

جامعة غليزان - الجزائر.

naima.khellouf@univ-relizane.dz

المحاضرة السادسة: نقد النثر عند الجاحظ.

تمهيد:

برز على مدار تاريخ الأدب العربي كتاب ونقاد؛ لم يتوانوا في إثراء المكتبة العربية. من بينهم الجاحظ الذي اتجه بفكره الفلسفي والنقدي، كما برع في كتاباته النثرية. ومما عرف به كثرة الحوار والجدل وسعة الثقافة، وهذه من مميزات فرقة المعتزلة التي كان متحدثا باسمها، منتسبا إليها.

يقول الجاحظ: (إن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء) وقد وصفهم ابن خياط: (إن الكلام لهم دون سواهم) في وصفهم لمذهب المعتزلة في كلامهم، وحجاجهم الأدبي والديني "1".

خصائص أسلوب الجاحظ:

- اهتم باللفظ، والمعنى معا.
- عنايته بالأساليب: الوصف، الموسيقى، الموازنة بين اللفظ والمعنى. الواقعية والاستطراد. التلوين الصوتي، والعقلي.²

الواقعية: ³

عبر الجاحظ من خلال كتاباته، والمؤلفات التي تركها عن واقعه المعاش، ووضح ملامح عصره، والبيئة بكل مكوناتها؛ الجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، وأهمها المجتمعية، فلم يترك موضوعا إلا وطرقه، وأنشأ فيه نصوصا تحاكي الحياة الواقعية آنذاك، كما أنه تحدث عن الواقع من داخل مجلس الخلفاء وحياتهم، ومجالس العلماء، ومحاورات المتكلمين التي كانت تقع بين الحين والآخر، وهو ما ترك آثار الواقعية في الأدب تمهيدا للواقعية الحديثة التي ظهرت في الأدب الغربي وانتقلت إلى الأدب العربي. ومن بين آثارها نذكر:

1. حكاية عصره وتمثله بدقة.
2. تلام اللفظ والمعنى مع الواقع.
3. عدم العناية بالصور البيانية وحسن التصور فالواقع كفيلا بأن يقدم أروع الصور.

الاستطراد:

يعني الاستطراد في كتابات الجاحظ الانتقال من باب إلى باب؛ ومن خبر إلى خبر، ومن شعر إلى فلسفة، ومن جد إلى هزل في تشعب هائل. يقول عنه كارادي فو: إن الموضوع عند الجاحظ ليس إلا وسيلة للاستطراد. فهو يعتمد إليه خشية ملل القارئ وسامة السامع، واحتج بأن الأوائل قد سارت في كتبها هذه السيرة؛ إذ يقول: إنه إنما يستعمل سيرة الحكماء وآداب العلماء. ومثل هذا الاستطراد اتصف به كتاب كلية ودمنة لابن المقفع. ومنهم من يرد هذا الإسهاب والتشعب إلى اعتلال صحته، ومرضه.

التلوين الصوتي:

تتميز عبارات الجاحظ بالعناية بالصوت؛ حتى تقضي إلى ضروب مختلفة من الإيقاعات الصوتية، ولم يكن يستعين على تجميل هذه الإيقاعات بشيء من البديع وألوانه؛ بل كان يكتفي بها لتعبر عن كل ما يريد من جمال الأسلوب وطلاوة العبارة.

التلوين العقلي:

أهم عنصر من العناصر الأربعة التي تكون فن الجاحظ وصنعتة، إذ كان يشفع كتاباته دائما بضروب من التحاسين العقلية. وهي ليست فنية في أصلها بل منطقية فلسفية.

¹ -شوقي ضيف، الفن ومذاهبه ، ص 155.

² -شوقي ضيف، الفن ومذاهبه ، ص 165.

³ -شوقي ضيف، الفن ومذاهبه ، ص 167. وما بعدها.